

الصياغة المرجوة لنجاح التجربة العربية

إن الفقراء إلى جانب الأغنياء يربضون عند خط البداية استعداداً لسباق جديد
ومروع إلى المستقبل.

الفين توفلر

(كاتب في علوم المستقبليات)

من استقراء ما سبق يظهر لنا :

- أن العالم العربي يقع ضمن منظومة ما يسمى بدول العالم الثالث. أو الدول النامية، تلك المنظومة التي تفتقر للمشاركة الجادة في صناعة التقنية على المستوى العالمي، وتنحصر علاقته بها في إطار الاستهلاك الشره لمنتجات التقنية، يتابع تجدد صناعاتها وتنوعها مع كل موسم لها ويصرف جلّ موارده في اقتنائها.

- أن هذا الاستهلاك غير المنظم، والمتصاعد في الزيادة ينشط مع إيجاء موجات الإعلانات التجارية والدعائية المتفننة في العرض، الموجهة عبر وسائل الإعلام المختلفة، والتي تمارس دورها في ترسيخ التبعية بأسلوب غير مباشر.

هذا الاندفاع الاستهلاكي سيشكل مع مرور الوقت خطراً على الهوية الثقافية، وعلى النظم الاجتماعية، والاقتصادية في الأقطار المستفيدة منها

ذلك أن التقنية ليست حيادية كما يتوهم، إنما هي صبغة مركبة. ترتبط بهوية البلد المنتج لها (فالأتجاه نحو الاستهلاك الترفي إذا استمر دون مواجهة تراكمت آثاره في شكل اكتساب عادات استهلاكية جديدة، تستقر وتنتشر على نحو يجعل التخلص منها في المستقبل غاية في الصعوبة)^(١).

(١) عادل حسين وآخرون التنمية العربية. الواقع الراهن والمستقبل مركز دراسات الوحدة العربية ط ٢

- إن المشاركة العلمية المثمرة في تيار التقنية وصناعتها . بل والتحكم في توجهها وفق ظروف ورغبات الأمة ليس أمراً مستحيلاً ، أو حكراً على أمة أو شعب معين ، وإنما هو أمر مشاع ، يساهم فيه من لديه القدرة والرغبة .

وعوامل البناء تتحقق مع التوجه الجاد الصادق ، النابع من قوة الطلب ، وصدق العزيمة والرغبة الملحة ، والاعتزاز بالهوية بكل سماتها ومعالمها .

بذلك كله تذلل كل العقبات وتستكمل كل الإمكانيات . ويبقى سؤال مهمّ وملحّ...

كيف المسار العملي للبناء؟

في البدء يجب أن نعي ونكرر تأكيد أن التكنولوجيا وبريقها ليست هي الهدف المنشود بحد ذاتها في مشوار البناء ، وإنما هي نتيجة وعائد يتحقق بعد عملية البناء الشامل .

(ذلك أن التكنولوجيا بحد ذاتها لاتبني حضارة ، ولا تصنع تنمية . إلا إذا تصورنا أن الهوة الفاصلة بيننا وبين العالم المتقدم هوة اقتصادية خالصة وليست حضارية)^(١) .

(١) هيرمان كان وآخرون - العالم بعد مائتي عام - ترجمة شوقي جلال - عالم المعرفة الكويت رقم الكتاب ٥٥ رمضان . شوال ١٤٠٢ ص ٢٥ .

ثم لا بد من إدراك أن الدرب شاق وطويل، وأن درجة النجاح والاكتفاء نسبية، وأن النقص والإحتياج يشكل ثغرات في مكانة الأمة الحضارية. يتعاضم ويقل حجم هذا النقص حسب الضرورة ومقدار الطلب.

يقول أحد المفكرين (لا يمكن أن تكتمل الدورة التكنولوجية من جميع الفروع مثلما تفعل الدول الصناعية الكبرى، لذلك لابد من تركيز الجهود على عدد من القطاعات المرتبطة بعناصر التنمية المتاحة في الدولة. من زراعية، أو صناعية، أو تعدينية، أو غيرها. بحيث يوجد ارتقاء وتفوق في عدد قليل من الفروع ذات العلاقة الوثيقة بالمجتمع واقتصادياته ومستقبله، بينما بالنسبة لباقي الفروع يكتفى بتكوين المستويات اللازمة لحسن اختيار التكنولوجيا الخارجية وتطوير ما يناسب منها للتطبيق الخارجي)^(١).

فالمسار العملي للمشاركة والبناء يتم من خلال عدة قنوات أهمها :

أ - الإلتزام بالإسلام منهجا في الحياة.

لكل أمة مسار وهدف، وبدون رسم الهدف تطول المسافة. وتضل الطريق، وأمتنا أعزها الله بالإسلام، وتكفل لها بالنصر والتمكين في الأرض في كل عصر إن هي التزمت بهذا الدين قال تعالى : ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا

(١) د/ إبراهيم حلمي عبد الرحمن وآخرون تهيئة الإنسان العربي للطاء العلمي - ندوة. مركز

دراسات الوحدة العربية. ديسمبر ١٩٨٥ ص ٤٥.

الصالحات ليستخلفهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ويمكن لهم دينهم الذي ارضى لهم وليبدلهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴿١﴾.

ويقول الرسول ﷺ: ((تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي، كتاب الله وسنتي)).

والإسلام باعتباره تنظيماً للتوجه الحضاري - ضمن رسالته الشاملة والسامية - جاء ليؤكد قدرته وصلاحيته على ذلك في كل وقت وحين، لا يتوقف عند فترة أو زمن محدد، يمجّد العلم وأهله، ويأمر باستمرار عملية التطوير، والأخذ بأسباب القوة في كل متطلبات الحياة ويسخر من الركود والتخاذل.

يقول تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن مرباط الخيل﴾ (٢) ويقول تعالى: ﴿يا يحيى خذ الكتاب بقوة﴾ (٣).

إنه لا مسار صائباً ومثمراً لهذه الأمة مع البعد عن المنهج الإسلامي وتنظيمه، ذلك أن فيه كل مقومات الحياة البناءة، إذ فيه تركية النفس قبل الانطلاقة. والإخلاص والتفاني أثناء الأداء، لا ممانعة أو خداع ضد الغير، ولا ذاتية مفرطة في ساحة العمل.

(١) سورة النور، الآية ٥٤.

(٢) سورة الأنفال، الآية ٦٠.

(٣) سورة مريم، الآية ١٢.

يقول أحد الكتاب في التأكيد على دور الإسلام عند البناء : (إن الخروج من أزمة التخلف الذي تعيشه المجتمعات الإسلامية لا يمكن أن يتحقق بأدوات حضارية مقطوعة الصلة بالإسلام وحضارته، وثقافته، ونظامه القيمي ... إن الإسلام ينطوي - حقيقة - على أدوات النهضة وشروط التقدم، ولكن ظروفها تاريخية بالغة التعقيد دفعت بالشعوب الإسلامية، وبكثير من روافد الفكر الإسلامي بعيداً عن اكتشاف القيمة الكبرى التي يمنحها الإسلام لهذه الأدوات كلها، ومن ثم فإن ظهورها من جديد، وتقديمها للناس في وضوح. في ارتباطها العضوي بالتصور الإسلامي الشامل للإنسان ودوره لاتزيد أن تكون حركة تصويب وتصحيح، واكتشافاً ثانياً للتراث، في إطار نظرة وظيفية غير شكلية للإسلام ومبادئه وشرائعه وآدابه ^(١)).

ب - التوجه العام والجاد في البناء.

يساهم في هذا التوجه - بالدرجة الأولى - القطاعات الرسمية صاحبة القرار الأول في الأمة، تتبنى هذا الأمر خطة رسمية معتمدة متجددة، تخصص لها البنود المالية والتنظيمية، وتجاهه أي عرقلة تعترض المسار، ليكون هذا الأمر همها وقضيتها الأولى.

(١) د/ أحمد كمال أبو المجد - المسلمون وثقافة العصر. سلسلة كتاب العربي رقم ١٤ يناير

إن دولة صحراوية كالمملكة العربية السعودية. تفتقر للأنهار، وللخبرة في مجال الزراعة الواسعة القائمة على الميكنة. استطاعت بفضل الله ثم بفضل العزيمة من أبنائها والقرار الحاسم الشعبي والرسمي القائم على التشجيع، وتسهيل الإمكانيات. أن تكتفي ذاتياً من محصول القمح. لتتجاوز بعد ذلك لمرحلة التصدير الخارجي.

تقف بثقة شامخة أمام الدعاوى الخارجية المفروضة، التي حاولت عرقلة المشروع وهذا التوجه من أجل أن يبقى هذا البلد تحت رحمة المزارع والاقتصاد الأجنبي^(١).

إن اليابان عندما عازمت على ركوب موجة التصنيع الحديثة، والوصول للريادة العالمية. لم يشبها وضعها القائم الكئيب آنذاك، وإنما انطلقت في الأفق، وتجاوزت الإمكانيات، وجعلت أساس البناء ثروتها البشرية، فسطرت ذلك المرسوم في نظام حياتها العامة.

(١) وصل إنتاج القمح السنوي في المملكة العربية السعودية عام ١٤١٢. قرابة ٤ مليون طن.

قد يقال إن لتلك التجربة سلبياتها، أو أن ذلك لا يمكن تحقيقه مع الدول التي تفتقر لرأس المال الممول للمشروع. لكن ذلك غير مبرر. فالسليبات ستضمحل مع الخبرة المكتسبة، كما أن رأس المال يمكن توفيره من خلال المشاريع المطروحة للمساهمة. وبنجاح تجربة الاكتفاء من محصول القمح اتجه المزارع السعودي بتوجيه من الجهات الرسمية إلى سياسة تنويع المحاصيل الزراعية ليحقق الاكتفاء في نماذج ومجالات أخرى.

(إن ميزان القوى في العالم قابل للتغيير، وإلا لما برزت اليابان وكوريا والصين. وغيرها من القوى التي يكثُر نفوذها يوماً بعد يوم وتزيد قوتها بجهد أبنائها وعراقتهم)^(١).

والمواطن العربي لا يقل حماساً ومواطنة وعاطفة عن غيره من الشعوب إذا وثق واقتنع بالخطط المرسومة وبناتجها المستقبلية. ودعم بالإمكانات التي تحقق له طموحاته.

فهو يبحث عن هويه اقتصادية ترفع عن كاهله ثقل المديونية العالمية التي مصدرها منتجات استهلاكية قادر على توفيرها، تدفع به لميدان الاكتفاء والمفاخرة، وخير دليل على ذلك ما حققه أبناء الوطن العربي في الغرب أو ما يطلق عليهم بالعقول المهاجرة، عندما هيئت لهم الإمكانيات والبيئة الخصبة، حيث نبغ فيهم المهندسون والطبيب وعالم الإلكترونيات والخبير الاقتصادي ورجل الأعمال وعلى مستوى عالمي.

فهل نبدأ المسيرة، ونعلن الانطلاقة مدوية في الأفق، ليتردد صداها، وتنمو مع حركة عقارب الساعة؟

لنخلط هذا الهمّ. وهذا التوجه مع رضعات أطفالنا. ومع دروس ناشئتنا. وتطلعات شبابنا وحكايات كهولنا.

(١) د/ محمد الأحمد الرشيد من معالم استشراف المستقبل في الوطن العربي في القرن الحادي والعشرين. مجلة رسالة الخليج العربي ٢٥، سنة ١٤٠٨.

بذلك تكون بداية الانطلاقة المنتجة، ويكون التوجه العام الصائب. على
المستوى الرسمي والشعبي

إن من سمات التوجه المثمر.

الانفتاح على التجارب العالمية والدخول في ميدان مبادلة الخبرات وتبني عقد
اللقاءات والمؤتمرات المتخصصة، والاطلاع على التقارير العلمية، وإعفاء الأجهزة
والمعدات الصناعية المتطورة من الرسوم الجمركية، وكسر حواجز براءات
الاختراع والتصنيع بالطرق النظامية، وبعث الوفود الفنية لزيادة التدريب،
والتعامل الإيجابي مع الخبراء الوطنيين وتسهيل طرق اتصالهم بالمراكز الدولية من
أجل تبادل المعلومات، والاهتمام بالتقارير والدراسات والبحوث المقدمة من
المراكز العلمية، وهدم حيطان الأرشفة العام، ومنح القروض للاستثمارات
العلمية. ثم أولاً وأخيراً الإيمان بأهمية الأعمال الفنية والمهنية وإنزالها المكانة اللائقة
بها

ج - انتهاج مبدأ الانتقاء في المسار الحضاري.

لا بد من استيعاب تيار الحضارة وتجده المتدفق، والمساهمة في صناعته
ولعل أولى الخطوات إلى ذلك تكون من خلال: التخطيط المدروس، والاقتباس
المشروع.

فالتخطيط يحقق الإنتاج الوطني الذي ينبع من قدرات أبناء الأمة، ويعمق الانتماء لدى الناشئة.

والانتقاء من مكونات وإبداع الآخرين يمول الاحتياج، ويولد الخبرة، ويوسع المدارك، ويبدد العزلة شريطة ألا يطنى ذلك على الإنتاج الوطني

- كما ينبغي إدراك (أنه ليس للتنمية المستقلة نموذج واحد، وإنما يتعين على كل شعب أن يجد بنفسه طريقة إلى تحقيقها مستفيداً من تجارب الآخرين، فالتاريخ لا يكرر نفسه، وكل تقدم في تاريخ البشرية تم في ظروف محددة لا يمكن اصطناعها من جديد، والمحاكاة لن تقود إلى أي نجاح يذكر، وإذا سلمنا جدلاً بنجاحها فإن ثمرة هذا النجاح سيكون إنمحاء الشخصية الحضارية بما تمثله من قيم ومعتقدات)^(١).

والأمثلة على تلك الصورة المذكورة تأكدت في نماذج دول شرق آسيا التي حققت مراكز مشهودة في الصناعة، حيث تفاوتت تلك الدول في نظرتها لتيار الحضارة الغربية. منها ما فتح الباب على مصراعيه فسمح لكل الأنماط بالولوج. فكسبت تلك الدول التقنية وخسرت بعض معالم هويتها، ومنها ما انتهج أسلوب الانتقاء. فاحتوى ما تطلب الأمر اقتباسه، وصد ما سيعكر صفو التراث والقيم. ولعل خير نموذج للقسم الثاني تجربة اليابان المعاصرة.

(١) عادل حسين وآخرون التنمية العربية. الواقع الراهن والمستقبل مرجع سابق ص ٢٠٤

أما تجربة العالم العربي فهي غير منظمة أو محكومة بمسار . لقد نادى أشهر المفكرين العرب المعاصرين - قبل أكثر من أربعة عقود - في عبارة بفتح الأبواب دون تحفظ كشرط لنجاح التجربة العربية المأمولة إذ يقول : (أن نسير سيرة الأوروبيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أندادا ، ولنكون لهم شركاء في الحضارة خيرها وشرها . حلوها ومرها . وما يحب منها وما يكره . وما يحمد منها وما يعاب ومن زعم لنا غير ذلك فهو خادع أو مخدوع)^(١) فلم يتحقق الاستيعاب ، ولم تتم سلامة الهوية .

- إنه عند الاقتباس يجب أن ندرك أن (التكنولوجيا ليست من المعطيات المحايدة التي يمكن أن تنتقل من مكان إلى آخر ، أو من بلد إلى بلد آخر ، مع احتفاظها بكل خصائصها وإمكاناتها ، وإنما تتحدد التكنولوجيا بمجموع ظروف

(١) طه حسين المجموعة الكاملة لمؤلفات طه حسين . المجلد التاسع . علم التربية . دار الكتاب اللبناني . بيروت ١٩٧٢ ط ١ ص ٥٤ ومما يجب إيضاحه أن بعض الأدباء أكدوا تراجع الدكتور طه حسين عن بعض آرائه التي تبناها فترة تكوينه الثقافي في شبابه .. جاء ذلك على لسان الشيخ محمد حسين زيدان رحمه الله تعالى في أحد لقاءاته العلمية . وفي مقال للدكتور محمد رجب بيومي يتضمن رداً للدكتور طه حسين على توفيق الحكيم الذي نال من الحضارة العربية . ودعى الى فك ارتباط الشخصية المصرية بها في خطاب موجه للدكتور طه حسين عن ثقافتنا . (مجلة الهلال ديسمبر ١٩٩٥ ص ١٤٦) إلا أنه لم يرد عن طه حسين نفسه شيء من ذلك حسب علمي . وإنما استشهدت بالرأي لتوضيح موقف أبناء الجيل السابق والذي قد يوجد له امتداد بين بعض أبناء الجيل الحاضر .

البلاد التي تبندعها وبالاحتياجات والأهداف التي تتوخاها المؤسسات الاقتصادية التي تستخدمها)^(١)

إن الحضارة التي بناها الغرب وجنى بعض ثمارها ، وبلغ بها المنزلة المشهودة في وقتنا الراهن لم تسلم من بعض الجوانب السلبية التي انعكس آثارها على حياة مجتمعاتها المعاصرة ولدى العرب الفرصة في تلاشي تلك السلبيات والخروج فقط بخصائصها الإيجابية إن هو أراد ذلك .

يقول الدكتور أحمد كمال أبوالمجد في تقديمه لكتاب عن عالم الغد : (إن قراءة هذا الكتاب تضع القارئ العربي في موقع أفضل من القارئ الغربي ، وذلك أنها تتيح له أن يتأمل ، وأن يفهم ظواهر وصدمة المستقبل وهي تحل بعيداً عنه ومجتمعات غير مجتمعه فيتهياً لها ويعد نفسه لعلاقاتها ، وي طرح - وهو لا يزال في سعة من أمره - عديداً من الأسئلة التي تتصل بمشكلات الحفاظ على قيمه الإنسانية والفكرية والاعتقادية . وسط هذه الثورة الصاخبة التي تموج بها الحياة وهي تندفع إلى المستقبل اندفاع الإعصار الذي يجتث القواعد ويقتلع الجذور)^(٢) .

فالمدينة الغربية خلفت في مسارها عدداً من الجوانب السلبية التي داهمت مجتمعاتها ، وأقظت كيانها . كضريبة لتلك الموجة الحضارية وذلك النجاح .

(١) سعد زهران . العالم الثالث يفكر بنفسه . دار ابن رشد للطباعة والنشر ط ١ ، ١٩٨١ ص ٦٩

(٢) الفين توفلر - صدمة المستقبل ترجمة محمد علي ناصف - نهضة مصر يوليو ١٩٧٤ من التقديم .

من تلك السلبيات. ذلك الصراع النفسي. الذي يعاني منه أعداد جمة من الأشخاص بمختلف الفئات والمستويات، وتفشي الأمراض النفسية والعصبية والعضوية نتيجة ذلك، ورواج المخدرات وإدمانها وارتفاع نسب الجرائم بمختلف أشكالها، وسيادة الذات والسباق المسعور نحو احتواء المادة وطرق اكتسابها، إضافة للفراغ الروحي الذي ظهرت بوادره وآثاره مؤخراً في موجات الصخب في الشارع الغربي عامة.

في وثيقة تعليمية صريحة من الولايات المتحدة الأمريكية، أصدرتها وزارة التربية والتعليم. والبيت الأبيض الأمريكي معاً جاء فيها.

(إن كل واحد منا هو على وعي ومعرفة بهذه الظروف، لكن عدداً قليلاً من الأمريكيين يرى أن مثل هذه الظروف متعلقة بهم، ومرتبة عليهم، فنحن نتيجة للقول « إنه قد تكون الأمة في خطر ولكن أنا نفسي بخير »، فالتهاون والإهمال أو التقبل السلبي أمور منتشرة لدينا كأفراد بالنسبة لمدارسنا وأطفالنا وبيئاتنا المحلية^(١).

لذا لا بد من مراعاة أمرين :

- ١- أن البداية تتم من حيث انتهت المجتمعات المنتجة مع ضرورة انتهاج إيسر الطرق الموصلة إلى ذلك الهدف وأضمنها، ولا يشك أحد بأن ثورة المعلومات من الأسباب الموصلة إلى ذلك، فلا يمكن تجاهلها.

(١) آليات التخطيط الشامل مرجع سابق ص ٣٤

(فالثورة العلمية وثورة المعلومات الجديدة تشكلان تحدياً إنسانياً للإنسانية بأكملها ، ولا مكانة لأمة في عالم الغد القريب إذا تجاهلت هذا التحدي الذي نادراً ما عرفت البشرية تحدياً مماثلاً له)^(١).

أما الطريق الموصل لتيار المعلومات المتجدد . فهو تشجيع البحوث العلمية ، وتبني نتائجها - كما سبق - (لقد أوضحت التجربة والخبرة أن الاستثمار في البحث العلمي هو من أفضل أنواع الاستثمار . لما يحققه من عائد إيجابي مباشر في التنمية ، فضلاً عن ارتفاع معدل هذا العائد عن غيره من الاستثمارات العامة والخاصة ... نتيجة لذلك فإن حداً أدنى من الاستثمار في البحث العلمي يجب أن يتفرد لمجرد الاحتفاظ بالمستوى الموجود ، وللحيلولة دون الرجوع إلى الخلف ، إذ أن أي دولة تتوانى أو تتباطأ في استخدامها أحدث طرق الإنتاج . لابد أن تتعرض منتجاتها إلى التخلف والكساد في الأسواق العالمية)^(٢).

٢ - أنه لكي ينجح أي استنبات للتقنية لابد أن تتفق تلك النبتة مع إمكانات وحاجات وطبيعة البيئة المحلية المستقبلية لها ، فهي التي ستحتضن جذورها وتتبنى خططها وتستثمر عوائدها والاصطدام بذلك سيقرب الجهد المبذول والإمكانات المسخرة إلى هدر .

(١) إنطونيوس كرم مرجع سابق .

(٢) محمد سيد أحمد حنفي الأمن الغذائي في الوطن العربي حتى عام ٢٠٠٠ مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ط ١ عام ١٩٨٥ م .

يتحقق هذا الأمر من خلال :

١- التوجه الجاد والصادق بانتهاج طريقة واقعية، تستفيد من المحاولات والتجارب السابقة للأمة ولا يشترط أن تلتزم بها إجمالاً، وتقوم على مبررات التكامل من واقع الحاجة لتأججها العاطفة. بل الإحتياج الملح، ولاتقودها شعارات براءة.

تكاملاً واقعياً تقود أسسه ونتائجه لمتطلبات المستقبل قبل الحاضر، تنطلق من حس صادق يغذيه الواقع، ويؤججه الضمير الحي المستمد قوته من الإيمان بالله تعالى ومن الإسلام منهجا ومسارا.

٢ - يمكن أن يستفيد ويستسقي في مساره من تجارب إقليمية أثبتت الواقع العملي والزمن نجاحها داخل الوطن العربي - كتجربة التكامل القائمة بين دول مجلس التعاون لدول الخليج العربي والتي تتسع دائرتها التكاملية في جميع المجالات الحيوية - أواخره كنموذج الوحدة والتكامل للأمم الأوربية التي بدأت مع مطلع عام ١٩٩٢.

٣ - لامانع من التدرج مبدئياً في تطبيق مشروع التكامل العربي حسب أهمية القضايا ودرجة الحاجة اليها، فلا مانع في البداية من التكامل الإعلامي لمجابهة البث الإعلامي الخارجي المتدفق، بأسلوب عملي وفعال، أو في قطاع التعليم من خلال توحيد المناهج والبرامج والخطط التربوية، أو في الاقتصاد.

٤ - في بعض جوانب الحياة . هناك أمور يقتضي الواقع استثناء ها وإخراجها من دائرة التكامل حسب طبيعة البلد وخصوصياته ، وظروفه ، وإمكاناته .

هـ - الاهتمام بالدراسات المستقبلية .

لا بد من الاستعداد للعقود القادمة . والتي تنبئ أجهزة الرصد والتحري بأن الحياة العامة خلال المستقبل المنظور على الأقل ستتغير معالمها ، وأنه لا مكانة ولا تأثير للمجتمعات التي لا تساهم في تلك المتغيرات . فعلى ضوء تلك التوقعات ستتغير مراكز القوة والعوامل المؤثرة في بنائها وتشكيلها .

فالثروات الطبيعية لن تكون العامل الحاسم في تطور المراكز الصناعية ، وسبل النقل والاتصال القائمة الآن ستصبح تقليدية . عاجزة عن إشباع حاجة الإنسان وخدماته . والمدارس والمؤسسات الثقافية القائمة الآن قد يظهر ما ينافسها من مراكز ومؤسسات تستجد على الساحة العامة فتنزع منها وظيفتها التقليدية وقد تعتمد على المد الإعلامي الزاخر آنذاك والذي لا يحول دون انتشارمواده وبرامجه أي عائق أو تكلفة .

باختصار ، سيكون نمط الحياة خلال العقود القريبة القادمة - بمشيئة الله - مختلفاً عن نمط الحياة القائمة الآن .

لقد أدركت كثير من الدول تلك الحقيقة . وبدأت تعد العدة لتتبوأ مركزاً لائقاً بها . فأقامت بعض المراكز والهيئات التي تعنى بهذا الأمر . كما ضمنت المناهج

الدراسية في التعليم العام بعض المقررات والوحدات الدراسية التي تؤهل الناشئ للتفاعل مع الحياة الجديدة وتجنبه من الصدمة الحضارية القادمة.

وعالمنا العربي : هو جزء من ذلك العالم لن يعزل بغير إرادته عن المشاركة والتأثير وتبوؤ مكانة مناسبة له . فلا بد من أخذ الأمر بصدق وجدية لتكون مشاركته فعالة . لا تقتصر على الاستهلاك الشره ويكون عالة على المجتمعات الأخرى التي أعدت العدة لذلك .

أما المطلوب لتلك المرحلة فهو :

- الإرادة الصادقة التي لا تقف عند أي عقبة أو إحباط بل تنطلق بإيحاء من المسؤولية يدفعها إلى ذلك سواعد الأبناء لآخبرات الأجانب .

- التركيز على الأبحاث العلمية . واستغلال تيار المعلومات العلمي المتجدد وتوظيف كل ما يناسب منها لواقعه .

- تضمين المناهج والمقررات الدراسية في التعليم العام والعالي بعض المقررات والوحدات التي تتطلبها المرحلة خاصة ما يخدم مجال علم المستقبلات والخيال العلمي الموصل للإنجاز والإبداع والابتكار .

- تحليل الصورة القائمة للواقع العربي من خلال منهج واقعي يتكئ على المصادقية . والخروج بنتيجة تعمل على إبقاء الجوانب الإيجابية والمركيزات الأساسية للأمة . وتستبعد عوامل الخلل وتسد النقص .

و - الاهتمام بمستوى التعليم.

التعليم في جوهره ووظيفته عملية بناء واستثمار ، تستهدف عقلية الناشئة من أبناء الأمة بمختلف مستوياتهم وأجناسهم . ليتحقق من تلك العملية تكوين الشخصية السوية المبدعة القادرة على التفاعل مع الحياة وفق الأهداف المرسومة (إنه لا يمكن ازدهار صناعة حديثة متقدمة على يد شعب أُمي)^(١) .

لقد أمكن في فصل سابق من هذا الكتاب تحديد مستوى التعليم في عالمنا العربي ، وتم الوقوف على مدى الحاجة الملحة لتطويره .

شدتني وثيقة رسمية صدرت عن وزارة التربية والتعليم الأمريكية والبيت الأبيض معاً ، شارك فيها رئيس الجمهورية السابق شخصياً ، أكدت الوثيقة على قدرة التعليم في استمرارية القوة الأمريكية وصدارتها الدولية

ولأهمية ما جاء في الوثيقة ، وإمكانية الاستفادة منها .نقتبس منها هذه الأسطر :

(إن الأداء التعليمي الأمريكي يجب أن يكون متقدماً على كل أداء آخر في القرن الواحد والعشرين ، فالتعليم مسألة جوهرية في تحديد نوعية وكيفية حياتنا ، وهو في قلب قوتنا الاقتصادية ، وأمنا وقدرتنا الإبداعية في الفنون ،

(١) عادل حسين مرجع سابق .

ولقد رتينا على الابتكار في العلوم ، والإبقاء على قيمنا الحضارية . إن التعليم هو مفتاح مقدرة أمريكا على التنافس على المستوى الدولي^(١) .

تلك الآراء المطروحة نبعت من الإحساس بالحاجة ، ومن الرصد الدقيق قبل أن تصدر رسمياً وتطرح كقضايا للدارسين والمهتمين بقضايا التعليم وسبل إصلاحه وتطويره .

إن بعض الآراء التي وردت في الوثيقة الأنفة الذكر ينبغي تحليلها وتقصي بنودها ، لأن فيها ما يتلاءم مع قضايا التوجه العربي^(٢) .

وهدفنا لن يقف أمام الظروف الجاثمة والخطط القصيرة .

فإذا كانت تلك الدول التي بلغت في التقدم الحضاري شأننا . تحرص على استمرارية التفوق والريادة . وتجعل من التعليم غاية وسبيلا . تحتكم اليه ، وتفتش عن مكامن الخلل في برامجهم^(٣) فالأمر لدينا أشد حاجة وأكثر مطلبا .

(١) ملحق رقم ١ صحيفة الحقائق حول الأهداف الوطنية التعليمية الأمريكية ، وقد أذاعها البيت الأبيض الأمريكي في ٢٦ فبراير ١٩٩٠ ، للمزيد ، يمكن الرجوع الى كتاب آليات التخطيط الشامل للإصلاح التربوي ، مرجع سابق .

(٢) لقد قام مكتب التربية العربي لدول الخليج بتبني ترجمة وطباعة الوثيقة ونشرها باللغة العربية .

(٣) تراجع كتب ، أمة معرضة للخطر ، آليات التخطيط الشامل ، الإصلاح التربوي في الولايات المتحدة الأمريكية ، معلمو الغد ، مجموعة هولمز ، نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج . الرياض وتقرير ، هل نجرؤ على منهج جديد لجيل جديد ، اليوت سيف . مجلة الثقافة العالمية سنة ١ - ١٤٠٣ عدد ١٤٠٣ وغيرها .

إنه رغم أن المسافة بين مسارنا ومسار تلك الأمم طويلة والخطى تتباعد مع كل لحظة. فلا شيء يستحيل للاندفاع نحو الأفضل مع العزيمة والصدق، وأول تحقيق لتلك الرغبة الاهتمام بنظام التعليم العام. فذلك أقرب وأيسر الطرق.

يقول الدكتور الرشيد : (إننا لن نشرع في تربية شعب بأكمله دفعة واحدة، مائة مليون، مائتي مليون، إن ثمة بدايات متواضعة نمتلكها، فها هو أيضا جيش جرار من التلاميذ يمضي إلينا كل صباح. إننا سوف نقتصر على هؤلاء الذين هم بين أيدينا في بادئ الأمر... أولئك الذين يجلسون على المقاعد مستسلمين ينتظرون ماذا نقول لهم... وكيف نعدهم للمستقبل. فتلك السيقان الصغيرة غداً سوف تتربع على المقاعد وتشغل قيادة المؤسسات والجيش والجامعات)^(١).

والطفل العربي والأمريكي والياباني وغيرهم متقاربون في القدرات والاستعدادات لم يحاب الله شعباً من الشعوب بمورثات جينية أو قدرات خارقة تميزه عن غيره من البشر، وإنما هي التربية والبيئة والإمكانات التي تعمل على تشكيل العقلية المبدعة المتفاعلة والمتخاذلة المنهزمة محدودة الإرادة.

فلا بد من صرخة مدوية في كافة بقاع الوطن العربي. تحاكي الصرخة التي دوت في عهد الإمبراطور الياباني ميجي، ومن مصارحة صادقة وجراة وموضوعية تشابه تقرير أمة معرضة للخطر الذي تبناه خبراء التربية والتعليم الأمريكي^(٢).

(١) د/ محمد الأحمد الرشيد - سبوعية الإنقاذ التربوي م. رسالة الخليج العربي عدد ٢٣، ١٤٠٨.

(٢) أمة معرضة للخطر - تقرير عن التعليم الأمريكي ترجمة وعرض د/ يوسف عبد المعطي. نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج الرياض ١٤٠٤.

لا بد من تحديد جوانب الخلل، والالتزام بالمصداقية والموضوعية في النقد، والعزيمة على التغيير لتظهر الصورة لصانع القرار، وتسهل مهمة واضع البرامج، وإن أول درجات الخلل التي تكتنف نظام التعليم العربي تتمثل في .

أ . مستوى المعلم الذي يمارس هذه المهنة : فالطاقات الفنية التي تمارس مهمة التدريس في مدارس التعليم العام . يفترض ويؤمل فيها إتقان الأداء بصورة جيدة وفق الأهداف المرسومة لها لكن الملاحظ افتقار البعض منهم لمواصفات التأهيل التربوي المؤثر . يظهر هذا الأمر في نوعية ومستوى المناهج المعتمدة في الكليات التربوية ، أبسط صورها حجم وسائل وتقنيات التعليم المعتمدة . ومقدار ساعات التدريب العملي . فلا بد من المراجعة المستمرة للخطط و المناهج التي تتم بتوجيه من القرارات ونتائج الدراسات والاستبانات المتتابعة .

وتؤثر نظرة المجتمع لوظيفة المعلم ومكانته بين الوظائف الأخرى ، وتلك نتيجة طبيعية وتفسيرية ، تعكس المستوى الحضاري القائم للمجتمع العربي ، ستضمحل تلك الصورة بمجرد إصلاح الأوضاع التعليمية .

وإن من عوامل الإصلاح . مراجعة شروط وقواعد القبول في الكليات التربوية بدرجة توازي القواعد المعتمدة في بعض الكليات العلمية الأخرى . والتأكيد على غرس مبدأ حب العمل والانتماء ، وإدراك حجم الضرر الناجم عن التساهل في الأداء وأثره على الناشئة حاضراً ومستقبلاً .

ب. حجم الساعات المعتمدة للدراسة . إذا كانت اللجان التي أوكل إليها دراسة وتقييم النظام التعليمي في الولايات المتحدة الأمريكية ترى في نتائج الدراسة التي توصلت إليها أن الوقت المتاح لبقاء الطالب في المدرسة أقل من مما يجب أسوة بالطالب في المدرسة اليابانية مثلاً ، فماذا نقول نحن العرب عن اليوم الدراسي الذي لا يتجاوز معدل ساعاته عن ٥ ساعات وعن العام الدراسي الذي يقل معدل أيامه عن ١٧٠ يوماً .

إنه لكي يؤتي الوقت ثمرته داخل الصف لابد من إطالة مدة اليوم الدراسي وتضمينه ساعات عملية ومعملية وحصص نشاط ، وتحديد العام الدراسي بما لا يقل عن ٢٠٠ يوماً ليتمكن الطالب العربي من استيعاب الأفكار والمعلومات المدونة في المنهج بطرق متعددة ، في قائمة تلك الطرق :

- توظيف تقنيات ووسائل التعليم في العملية التعليمية بمفهومها الشامل ومع تجدد أجهزتها وأدواتها .

- اعتماد الساعات العملية الفنية والمهنية كجزء من المنهج العام خاصة لطلبة المرحلتين الإعدادية والثانوية وعدم حصر ذلك على المعاهد الفنية والمهنية الخاصة فقط .

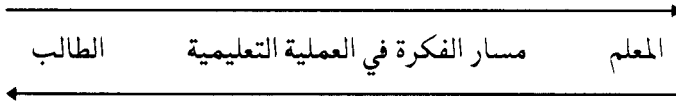
- تكثيف ساعات النشاط المساندة للمقررات الدراسية ، والتي لاتقل أهميتها عن المناهج الدراسية النظامية والمحكومة .

ج - نوعية المناهج والمقررات المعتمدة في خطط الدراسة . يصعب تناول هذا الأمر في صفحات محددة فضلاً عن أسطر ، لكن لابد من مراعاة بعض الأمور التي تحقق الجوانب الإيجابية ، من أهمها :

- ١- ضرورة تكامل المقررات والوحدات الدراسية في التخصص الواحد .
- ٢- عدم الازدواجية والتكرار للوحدات والموضوعات في المناهج .
- ٣- عدم الاقتصار على تنمية المهارات المعرفية المجردة وإهمال جانب التطبيق العملي .
- ٤- زيادة عدد المقررات التي تخدم العلوم التطبيقية والتدريبية الفنية والمهنية في التعليم العام بدرجة توازي أو تفوق عدد المقررات النظرية^(١) .
- ٥- توظيف وسائل وتقنيات التعليم ، والالتزام بها عناصر الدرس الجوهرية ، وقلة الارتباط قدر الإمكان بطرق الإلقاء والشرح النظري داخل قاعة .

(١) مع بداية العام الدراسي ١٤١٤ بدأ بتطبيق تخصص العلوم التقنية التطبيقية في المرحلة الثانوية بالملكة العربية السعودية بجانب تخصص العلوم الطبيعية وتخصصين نظريين ، كما يطبق في الكويت نظام التشعيب ، وفي الأردن نظام المدرسة الشاملة القائمة على تعدد المجالات والتخصصات .

٦- بناء شخصية الناشئ العربي من خلال التركيز على الأسس التي تخدم هذا الجانب ، وعدم استحواذ المعلم على زمن الدرس ومساره ، بل ينتهج مبدأ التغذية الراجعة في التعليم الثنائي الإتجاه قطباه المعلم والطالب معاً ، ليتم مشاركة الطالب في تنفيذ الدرس وتترسخ محاوره في ذهنه .



التغذية الراجعة بين المعلم والطالب في العملية التعليمية النموذجية .

٧- الانفتاح على المجتمع وجعل الطالب المنتمي للمدرسة همزة وصل بين المدرسة والمجتمع .

٨- لكي تنجح خطط التعليم وينظر إليها بمجد واهتمام من قبل منسوبي التعليم وأفراد المجتمع ، يجب الإدراك والقناعة أن التعليم بجميع فروع ومستوياته يدخل ضمن دائرة القطاعات الاستثمارية في الأمة لاضمن قطاع الخدمات العامة التي لاينتظر منها عائد ، بذنا نستطيع قياس العائد ونخضع التعليم لمحك الدراسة والنقد والتقويم والتجديد حسب حاجة الأمة . ذلك أن التعليم يعتبر المسؤول الأول - كما سبق - عن مستوى كفاءة العامل ومكانة الأمة .

٩- أخيراً لكي يتحقق العائد المربح من العملية التعليمية . يجب العودة مرة أخرى إلى أهمية ومكانة المعلم ، والذي يمثل المحور الأساسي والمؤثر في عملية التعلم ، فلا بد من الاهتمام به ، ورفع كفاءته قبل وأثناء العمل . إنه لا يقل أهمية عن الطبيب والصيدلي والمهندس الذين يخضعون لشروط واختبارات تقييم قبل التحاقهم في الجامعات التي تؤهلهم لذلك .

شكر وعرفان

في الختام أتقدم بوافر الشكر والتقدير والامتنان لكل من ساعد على خروج هذا الكتاب إلى حيز النور .

وفي مقدمة أولئك وكالة جايكا بسفارة دولة اليابان في المملكة العربية السعودية ، التي زودتني ببعض الصور التوضيحية والأرقام التي ضمنت في فصول هذا الكتاب .

كما أتقدم بالشكر والتقدير لكل من معالي أ . الدكتور/ محمد بن أحمد الرشيد ، وزير المعارف . وسعادة الدكتور/ علي بن محمد التويجري ، مدير مكتب التربية العربي لدول الخليج . وسعادة الدكتور/ عبد الرحمن بن عبد الله المشيقيح ، عضو مجلس منطقة القصيم . الذين أجازوا هذا الكتاب وأبدوا التوصية بطباعته بعد اطلاعهم عليه .

أملاً أن يكون عند حسن ظن الجميع .

المؤلف

قائمة بأهم المراجع

أولاً الكتب:

- أبو المجد د/ أحمد كمال - المسلمون والعصر - كتاب العربي . الكويت رقم التسلسل ١١٤ يناير ١٩٧٨ .
- الأنصاري د/ محمد جابر - العالم والعرب سنة ٢٠٠٠ دار الآداب ط ١ ، ١٩٨٥ .
- إيشهارا - شنتاروا ، اليابان لم تقل لا . ترجمة هالة العوري - يافا للدراسات والأبحاث - القاهرة ١٩٩١
- بو شامب . إدوارد . ر - التربية المعاصرة في اليابان - ترجمة د/ محمد العليم مرسي - مكتب التربية العربي لدول الخليج - الرياض ط ١
- توفلر . الفين - صدمة المستقبل - ترجمة محمد علي أبو ناصف - دار نهضة مصر - يوليو ١٩٧٤ .
- توفلر . الفين - الموجة الثالثة - ترجمة عصام الشيخ قاسم - الدار الجماهيرية للنشر والإعلان ط ١ ، ١٩٩٠ .
- حسيب د/ خير الله وآخرون - مستقبل الأمة العربية - التحديات والخيارات . مركز دراسات الوحدة العربية ط ١ ، ١٩٨٨ .

- حسين د/ طه - مستقبل الثقافة في مصر - المجموعة الكاملة لمؤلفات طه حسين - دار الكتاب اللبناني . بيروت ط ١ ، ١٩٧٣ .
- حسين . عادل وآخرون - التنمية العربية . الواقع الراهن والمستقبل . مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت لبنان ط ٢ ، ١٩٨٥ .
- حنفي . محمد سيد أحمد - الأمن الغذائي في الوطن العربي حتى عام ٢٠٠٠ مؤسسة الكويت للتقدم العلمي - ط ١ ، ١٩٨٥ .
- رايشاور . أدوين - اليابانيون - سلسلة عالم المعرفة رقم الكتاب ١٣٩ المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب . الكويت ، شعبان ١٤٠٩ .
- زحلان . إنطوان - العلم والسياسة العلمية في الوطن العربي .. مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت لبنان ط ٢ ، ١٩٨٢ .
- زهران . سعيد - العالم الثالث يفكر بنفسه - دار بن رشد للطباعة والنشر ط ١ ، ١٩٨١ .
- سفرد / محمود محمد - إنتاجية مجتمع - دار الكتاب السعودي . تهامة للنشر والتوزيع ط ١ ، ١٤٠٤ .
- شازال . جان - حقوق الطفل - ترجمة ميشال أبي فاضل . سلسلة زدني علما .
- شوت . بات - السادة الجدد - ترجمة أحمد كساب ، طلعت حسن - مكتبة مدبولي ١٩٩٥ .

- صادق . دولت أحمد - جغرافية العالم الإقليمية ج ١ - آسيا وأوروبا - مكتبة
الأنجلوا المصرية ط ١ ، ١٩٧٠ .

- عبد الرحمن . إبراهيم حلمي وآخرون - تهيئة الإنسان العربي للعطاء
العلمي - ندوة - مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت لبنان ديسمبر ١٩٨٥
- عزي . د/ بهاء حسين - العالم إلى أين والعرب إلى أين - دار الكتاب
السعودي . تهامة للنشر والتوزيع ط ١ ، ١٤٠٤ .

- كان . هيرمان - العالم بعد مائتي عام - ترجمة شوقي جلال - عالم المعرفة رقم
الكتاب ٥٥ المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب . الكويت . شوال ١٤٠٢

- كرم . أنطونيوس - العرب أمام تحديات التكنولوجيا - عالم المعرفة رقم
الكتاب ٥٩ المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب . الكويت . صفر ١٤٠٢

- الكرمي . زهير - العلم ومشكلات الإنسان المعاصر عالم المعرفة رقم الكتاب
٥ المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب . الكويت . ط ٢

- لستر ثرو . رأساً برأس . ترجمة فايز حجاب - دار الهلال - القاهرة ط ١ ،
١٩٩٣ .

- النابلسي . شاكر - الثقافة الثالثة - دار العصر الحديث للنشر والتوزيع - ط ١ ،
١٤٠٨ .

- نعمان . فاروق - عالم بلا حدود - كتاب الشرق الأوسط . المجموعة الأولى .

ثانياً الدراسات والتقارير والبحوث:

- التنمية العربية. مركز دراسات الوحدة العربية - مشروع استشراف المستقبل - ندوة.
- أمة معرضة للخطر - تقرير عن التعليم الأمريكي - ترجمة وعرض يوسف عبد المعطي - مكتب التربية العربي لدول الخليج . الرياض ١٤٠٤ .
- اليابان اليوم - شركة الجمعية الدولية للمعلومات التربوية - طوكيو ١٩٩١ ، مترجم .
- المشيقيح . عبد الرحمن صالح - بعض معوقات البحث العلمي في العالم العربي - بحث مقدم للجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية - جستن - جامعة الملك سعود - كلية التربية - اللقاء السنوي الرابع . التعليم العالي بين الواقع والتطلعات - الرياض ١٦-١٩/١١/١٤١١ .
- المشيقيح . عبد الرحمن صالح - بعض التحديات التي تعيق الاستفادة من التقنيات التربوية الحديثة - بحث مقدم لندوة التقنيات التربوية بين المطالب والتحديات - جامعة الملك سعود - كلية التربية ، ٦-٨/١١/١٤١٣ .

- الإنصاري . محمد جابر - مجلة الدوحة . قطر . عدد مايو ١٩٨٢ - سر البداية في الإنطلاقة اليابانية .
- الإنصاري . محمد جابر - مجلة الدوحة . قطر . عدد أغسطس ١٩٨٣ . من المحرقة إلى العملاق الثالث .
- التويجري . د/ علي بن محمد - رسالة الخليج العربي عدد (٢٨) ١٤٠٩ - هكذا تتحدث القوى الكبرى .
- التويجري . د/ علي بن محمد - رسالة الخليج العربي عدد (٣١) فن الممكن في التربية .
- الرشيد د / محمد الأحمد - رسالة الخليج العربي عدد (٢٥) ١٤٠٨ من معالم استشراف القرن ٢١
- الرميحي . محمد - مجلة العربي . الكويت - عدد (٤١٤) ١٤١٣ - المعلوماتية العربية .
- سعيد د/ إبراهيم أحمد - شئون عربية . عدد (٦٦) يونيه ١٩٩١ - نظرة جغرافية على مشكلة الأمن الغذائي .
- عمران . د/ كامل - شوال ١٤١٣ دور العلم والثقافة في تنمية القدرات الذاتية العربية .